محبة الموت

بقلم: الدكتور أحمد أديب أحمد

لقد ربطَ اللهُ تعالى محبَّةَ الْمَوتِ بصـــدقِ الإيمانِ في قوله ســـبحانه: (قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللهِ خَالِصَـــةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـــادِقِينَ)، والْمُؤمنُ الْمُوحِّدُ يَعلمُ أنَّ القرآنَ الكريمَ نزلَ مُخـاطِبًا أهـلَ الإيمـانِ بـالوعـدِ والوعيدِ والتَّرهيبِ والتَّرغيبِ والتَّحليلِ والتَّحريمِ، حتَّى لو ذَكَرَ الكافرينَ والْمُشـــركينَ فإنَّهُ تنبيهٌ في خطابـــــهِ للمؤمنينَ على ألاَّ يفعَلوا فِعلَ الكافرينَ والْمُشركين.

وإذا كـانَ الْمُخـالِفونَ يَفِرُّونَ من الْمَوتِ لقولـه تعـالى: (قُـلْ إِنَّ الْمَوْتَ الـَّذِي تَفِرُّونَ مِنْـهُ فَإِنَّهُ مُلاَقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَـالِمِ الْغَيْـبِ وَالشـــَّهَـادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَـا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ)، فـإنَّ الْمُؤمنينَ يَتَمتَّعونَ بالاطمئنانِ لِلِّقاءِ، لأنَّهم يعملونَ في ظلِّ الولايةِ الصَّادقةِ إثباتًا وإفرادًا، ويَعُدُّونَ الْمَوتَ شهادةً للارتقاءِ عندما يُرَدُّونَ إلى عالِمِ الغيبِ والشَّهادةِ.

أمَّا الْمُخالِفونَ فقد تَعَتَّتُوا في شَكِّهم وإنكارِهم للحقِّ الذي عُرِضَ عليهم فرَفضوهُ بعدما تَبيَّنُوهُ، فوقعَ فيهم قوله تعالى: (يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُســـَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ)، لأنَّ الحقَّ الْمَشـــهودَ تَبيَّنوهُ في عـالمِ الحسِّ بأعينِهم عندَما أَبْدَىَ آياتِ العلمِ والقدرةِ لُطفًا وإيناســـًا للمؤمنينَ، فأنكرَها أولئكَ الْمُخالِفونَ وجادَلوا بها وقالوا عنها: هذا ســـحرٌ مُبينٌ! فحَرَمَهُم اللهُ نعمةَ الاطمئنانِ بالنَّظرِ إلى الْمَوتِ الْمَشهودِ في عالمِ العقلِ، حتَّى إذا جاءَ أجَلُهم ساقَهُم كَرْهًا للإقرارِ بآياتِ العلمِ والقدرةِ حينَ لا ينفعُهُم، وذلكَ لإثباتِ الحُجَّةِ عليهم بدليل قوله تعالى: (وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ).

وقد جاءَ عن الإمامِ جعفر الصَّادقِ (علينا سلامُهُ) أنَّ رجلاً جاءَ إلى سيِّدنا أبي ذر الغفاري (ع) فقالَ: يا أبا ذر مَا لَنَا نَكرَهُ الْمَوتَ؟ فأجابَهُ: (لأنَّكم عمَّرتُمُ الدُّنيا وخرَّبتُمُ الآخرةَ، فتَكرهونَ أن تُنقَلُوا مِن عِمرانٍ إلى خَرَابٍ)، فَهُمْ عمَّروا دنياهم بالحشـــوِ وقصـــَّروا عن الاعتقادِ بعلمِ الحقائقِ، فكَرِهوا أن يُنقَلُوا من عَمَارِهم الزَّائِلِ لأنَّهُم لن يَجدوهُ في الآخرةِ، بل سيجدونَ صورةَ أعمالِهم مُحَطَّمَةً مُدَمَّرَةً إذ لا وجودَ لعلمِ الحَشْوِ في الآخرةِ، وما علمُ الحَشْوِ إلاَّ كصَرحِ فرعونَ الذي قالَ تعالى فيه: (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا

هَامَانُ ابْنِ لِي صَـرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ، أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِـيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ).

وممَّا قالهُ الرَّجلُ: أينَ رحمةُ اللهِ؟ فقال ســـيِّدُنا أبو ذر الغفاري (ع): (رحمةُ اللهِ قريبٌ من الْمُحسِنين).

نكتفي لعدم الإطالة والله أعلم

الباحث الديني الدكتور أحمد أديب أحمد